





تحرير
LIBERATION

۱۹۷۸
۱۹۷۷
۱۹۷۶
۱۹۷۵
۱۹۷۴
۱۹۷۳
۱۹۷۲
۱۹۷۱
۱۹۷۰
۱۹۶۹
۱۹۶۸
۱۹۶۷
۱۹۶۶
۱۹۶۵



نصر
VICTORY

عودة
FREEDOM



غزل العروق: عين جديدة على التطريز الفلسطيني

تشكل الثياب اعتباراً لعلاقتها بالجسد أداةً حميمة لاستكشاف التاريخ، وتستمدّ المطرّزات من ارتباطها الوثيق بالبنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمختلف المراحل التي تُنتج فيها قدرةً على توثيق ملامح هذه المراحل المختلفة وسردها، وفي هذا السياق يستكشف معرض "غزل العروق" التطريز الفلسطيني من خلال بحث علاقته مع النوع الاجتماعي (الجندر)، والطبقات الاجتماعية، وموازين سوق العمل، وظواهر تسليعه، متتبعاً تحولاته من ممارسة ذاتية مدفوعة بالحب إلى رمزٍ للتراث الوطني ثم إلى منتج يُداول في الأسواق العالمية.

تنمو في قلب المعرض "غابة" من الأثواب الفلسطينية التاريخية الاستثنائية، التي تساهم، بمجاورتها لمجموعة من الملصقات واللوحات والصور الأرشيفية والأغاني والمواد الأدبية والفيديو المعدّ خصيصاً لأغراض المعرض، في بناء صورةٍ شاملة لمركبات تاريخ فلسطين المادي. كما يستكشف المعرض عملية تسييس التطريز في فلسطين، وتجسيده البصري في الأعمال الفنية، والآثار الناجمة عن تسليعه، وطبيعة إنتاجه في الوقت الحاضر.

وعلى الرغم من الهامشية التي طبعت ممارسة التطريز تاريخياً والإغفال الذي عومل به باعتباره عملاً مرتبطاً بالمرأة، يحتفي "غزل العروق" بهؤلاء النساء اللواتي يستخرجن قوتهن من الهامش الذي يحتضن هذا العمل. في وقت نشهد فيه نقاشاً عالمياً حول قضايا النساء وحقوقهن في إدارة شؤونهن الخاصة، يسعى المعرض إلى فهم الدور الذي لعبه التطريز في تكوين نماذج معيّنة عن مفهوم الأنوثة وصورتها في فلسطين التاريخية والمعاصرة، ويهدف إلى إعلاء صوت النساء.

يمثل التطريز أكثر الممارسات تواضعاً: ترابط الخيوط المتكرر داخل النسيج، وعلى غرار ذلك، يستكشف "غزل العروق" تاريخ فلسطين، وحياتها السياسية، وثقافتها من خلال تناوله لهذه الممارسة البسيطة بحميميتها.



التطريز في الحياة اليومية: شهادات على عمل المرأة

تُجسّد "أثواب الحياة اليوميّة" التي يُستهل بها المعرض، ما ينطوي عليه التطريز الفلسطيني من طابع حميميّ وجهد ووقت. ومع مرور الزمن، أصبحت هذه الأثواب التي رافقت النساء في حياتهنّ اليوميّة بمثابة قطع فسيفساء تحمل آثار أثواب قديمة توارثتها أجيال من النساء، متنقّلة من أم إلى ابنتها ومن أخت إلى أختها ومن قريبة إلى قريبتها، لتصل إلينا اليوم بقطبيها وخيوطها ورقعها والمواضع الممزقة فيها كشواهد مادية على الحياة الريفيّة في فلسطين أوآخر القرن التاسع عشر، وعلى عمل النساء وكدهنّ، الذي لا أدلّ عليه من مواضع يبهت فيها الصباغ النيلي على كتان هذه الأثواب جرّاء تعرّضها الطويل لشمس الحقول التي أمضت فيها النساء سنوات من العمل والكدح مرتديّة هذه الأثواب، وكما كانت الشمس حاضرة لتترك على هذه الثياب علامات تدلّ على الجهد الذي بذلته النساء في الحقول، فإن أعمال المنزل أيضًا خلّفت أثرًا تفصح عنه الرقع التي استُخدمت لتعويض النسيج المهترئ عند موضع الركبتين نتيجة وضعية الجلوس التي لطالما اتخذتها النساء لتحضير الطعام أو تنظيف البيت، فتلامس أيديهنّ المبللة القماش المطرّز، ليبرقّ مع الوقت ويهترئ. وتُشير فتحات صغيرة مرقّعة بعناية عند مساحة الصدر في تلك الأثواب إلى وضعية الرضاعة. تدعوننا "أثواب الحياة اليوميّة"، عند قراءة التطريز الفلسطيني، إلى أخذ طبيعته العاطفية ومتعددة الطبقات بعين الاعتبار، فهو عمل لا يمكن اختصاره في لحظة زمنية أو هويّة فرديّة واحدة، بل هو انعكاسٌ لحياة الفلسطينيات في جميع مراحلها.

نوب يومي من غزة أو الخليل، 1935-1940، مجموعة طراز: بيت وداد قعوار للثوب العربي، تصوير كيانيه انترياسيان لصالح المتحف الفلسطيني

الصفحة السابقة

أحمد حجازي، "تحرير، عودة، نصر"، منشورات الإعلام الموحد لمنظمة التحرير الفلسطينية، 1978، إعادة الإنتاج بإذن من مشروع أرشيف المصق الفلسطيني



ما وراء "عمل المرأة": التطريز والنوع الاجتماعي (الجندر)

لا يمكن تناول التطريز الفلسطيني بمعزل عن صلته العميقة بالنوع الاجتماعي (الجندر)، فهذه الممارسة التي احترفتها نساء القرى عبر قرون من الزمن، ارتبطت تاريخياً بمحطات هامة من حياتهن في مراحل الطفولة والزواج والنضج، لتتخذ هذه العلاقة الراسخة بين التطريز والأنوثة الريفية مكانة مركزية في صورة المرأة الممثلة في الأعمال الفنية التي جاءت بعد النكبة، فقد أصبحت صورة المرأة الريفية، التي ترندي على الدوام ثوباً مطرزاً كما مثلتها تلك الأعمال، رمزاً يختصر ديمومة فلسطين وصمودها. في عقدي السبعينيات والثمانينيات، اتخذت المعاني الكامنة في هذه التمثيلات الفنية لصورة المرأة أهمية سياسية مركزية حافظت على شعبيتها في العقود اللاحقة. ورغم أن اختلاط رمزي الأرض والأمومة في تلك الأعمال يجسد القوة، فقد انتهت هذه الصورة إلى اختزال المرأة، على نحو ما، في دلالات مجردة بمنأى عن هويتها الفردية. وحتى إلى يومنا هذا، ما يزال التطريز يُنظر إليه باعتباره "عملاً خاصاً بالمرأة" لا يمارسه الرجال في فلسطين علناً. إلا أن الأمر يختلف فيما يتعلق بالأسرى، ففي السجون الإسرائيلية يعتز الأسرى بما ينتجون من أعمال مُطرزة، وفي الفترات التي تحظر فيها السلطات الإسرائيلية ممارسة الحرف في السجون، يطرز الأسرى سرّاً وفي ظروف صعبة، لينتج عن هذه التركيبة أعمال تطريز استثنائية تدمج معاني الوطنية والمقاومة والصمود بمشاعر التفاني الأسرى.

فيرا تماري، نساء فلسطينيات أثناء العمل، 1979، نحت بارز بالسيراميك، مجموعة د.إبراهيم خليل اللدعة، تصوير كيانيه انترناسيان لصالح المتحف الفلسطيني







من ثوب إلى صورة: التطريز باعتباره رمزاً

يمكن تلمس الصلة الوثيقة بين التطريز ومكانته الرمزية من خلال اللغة الداخلية لوحات التطريز وأنماطه البصرية، التي استلهمت من مظاهر الحياة اليومية والأشكال النباتية والحيوانية والأحداث السياسية. واكتسب التطريز بعد نكبة عام 1948 معاني فكرية، وأنشأ نظاماً رمزياً يعبر عن تراث فلسطين وديمومتها وقوتها. وانتشرت صور التطريز والنساء اللواتي يرتدين الأثواب المطرزة على نطاق واسع في الملصقات السياسية، في فلسطين وخارجها. وفي سياق مساعي منظمة التحرير الفلسطينية إلى إحياء التراث الفلسطيني كأداة للخطاب السياسي، جالت معارض التطريز حول العالم، واستخدمت الأثواب المطرزة زياً لعروض الدبكة، ومثلت عروض التطريز الدولية تلك خلفيات لاجتماعات سياسية رفيعة المستوى، مؤديةً بذلك نوعاً من الدبلوماسية الثقافية. وخلال الانتفاضة الأولى ارتدت النساء أثناء المظاهرات أثواباً مطرزة حملت على صفحاتها وحدات التطريز التقليدية جنباً إلى جنب مع وحدات تطريز أخرى مبتكرة على شكل أعلام فلسطين وحمام وبنادق وخرائط وشعارات سياسية، فقدمن بذلك محطات جديدة للنضال السياسي، ممثلةً على أجسادهن.

ثوب الانتفاضة،

1987-1993، مجموعة

طراز: بيت وداد قعوار

للثوب العربي، تصوير

تانيا طرابولسي لصالح

المتحف الفلسطيني

الصفحات السابقة

حاتم الأعرج، قطعنا

زينة، 2005، كروت،

لباد، تطريز، خرز،

ترتر، صنعت في سجن

عوفر، بإذن من نوال

الأعرج، تصوير كيانيه

انترياسيان لصالح

المتحف الفلسطيني



من عمل مدفوع بالحُب إلى عمل

لا يعدّ ارتباط التطريز بالسوق التجاري أمراً جديداً، فقد كان فيما مضى يجري تبادل الأقمشة وصناعة النسيج، إلا أنّ التطريز في تلك المرحلة من التاريخ كان عملاً شخصياً تقوم به النساء لتصنع ثيابها الخاصة، وهذا ما تغير بعد النكبة، حيث بدأ التطريز يحتكم لبنى إنتاج مختلفة، فرغم حضور السوق في خلفية ممارسات التطريز قبل النكبة، إلا أنّ هذه المرحلة انتزعت النساء الريفيات من حياتهنّ الزراعيّة المكتفية ذاتياً وأجبرتهنّ على البحث عن أعمال ووظائف مأجورة.

تأسست في تلك المرحلة جمعيات تطريز تهدف إلى دعم النساء وعائلاتهنّ وتأمين الوظائف لهنّ، ظهرت منها جمعيات مثل "إنعاش الأسرة" لتشكل ركائز للمقاومة السياسيّة، إلا أنّ هذا كان فقط أحد تداعيات ضمّ النساء إلى سوق العمل المأجور، الذي أدّى أيضاً إلى احتكام التطريز إلى آليات الإنتاج الرأسمالي وأنساقه، التي أصبحت المرأة بمقتضاها عاملةً والتطريز عملاً. واليوم، يهيمن انتشار المطرّزات الفلسطينيّة على هيئة سلع تجاريّة، لكنّ هذا لم يؤدّ إلى انقراض الثوب المطرّز، بل تطوّر في البيئات المختلطة لمخيّمات اللاجئين والقرى وبرزت منه أنماط مختلفة أكثر تجانساً تتسمّ بألوان ونقوش مبتكرة.

أشخاص يعملون في
غرف عمل الاتحاد
النسائي العربي،
رام الله، فلسطين،
1934-1939 مجموعة
مانسون، مكتبة
الكونغرس



تجسيد الهوية: التطريز، الثياب، والطبقة الاجتماعية

صورة فوتوغرافية،
1973، أرشيف إنعاش
المخيم، بإذن من
إنعاش

تزوّدنا آليات إنتاج الثياب وعلاقتها بالجسد وارتباطها بالتعبير عن الهوية بأحد الأدوات التي يمكن من خلالها قراءة ديناميات التقسيم الطبقي الاجتماعي في فلسطين، كما في أي مكان آخر، فقد كان التطريز سابقاً حرفة تمارسها النساء في القرى، في حين تبنّى سكان المدن أنماط ثياب عثمانية وأوروبية منذ عام 1900، ولم تكن الثياب المطرّزة في أوساطهم سوى "أزياء" من أجل الظهور الفوتوغرافي. وفي مطلع القرن العشرين ظهر أثر الاستعمار في التطريز والأنسجة، فساهم حضور خيوط التطريز التي تنتجها شركة "دي أم سي" الفرنسية في فلسطين في انتشار كتيبات تحمل أنماط تطريز جديدة، وأقمشة وخيوطاً مصبوغة صناعياً، مما أدى إلى تغيير طبيعة حرفة التطريز. وعلى نحو ما، ارتبطت جمعيات التطريز بالطبقة الاجتماعية، فلطالما عمل الأفراد الذين يتمتعون بامتيازات سياسية واجتماعية في مختلف أنحاء العالم على إطلاق مشاريع خيرية لدعم من هم أقل حظاً، وهذا ما كانت عليه الحال في العقود الأولى التي تلت النكبة، حيث أسست نساء فلسطينيات من الطبقة الوسطى جمعيات لإنتاج التطريز من أجل توفير اللاجئات الفلسطينيات، لتنتهي هذه الجمعيات على نحو غير مقصود إلى ترسيخ الهوية الاجتماعية - الاقتصادية بين النساء الميسورات اللواتي يبتعن المطرّزات وأولئك اللواتي يُنتجنها. وهذا ما يجعلنا نسائل دور التطريز في "تمكين" النساء ونعيد النظر فيه، لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أطر العمل النيوليبرالية التي تحكم آليات إنتاج التطريز اليوم، والتي تجعلنا نفكر بالرياح والمشارع التي تضعها عملية تسليع المنتجات المطرّزة وبيعها على المحك.







غابة الأثواب

جلّاية حمراء من
الجليل، العشرينيات،
مجموعة متحف جامعة
بيرزيت، تصوير كيانيه
انترياسيان لصالح
المتحف الفلسطيني

الصفحات السابقة

مقطع من ثوب
الأرامل من بئر
السبع، الأربعينيات،
مجموعة متحف جامعة
بيرزيت، تصوير كيانيه
انترياسيان لصالح
المتحف الفلسطيني

تحتوي "غابة" الأثواب هذه على قطع مطرّزات تاريخيّة من جميع أنحاء فلسطين. ورغم شيوع التطريز منذ قرون، لم يصلنا من مطرّزات أواسط القرن التاسع عشر سوى القليل. لطالما اعتُبر التطريز في فلسطين حرفةً ريفيّة مارستها نساء القرى بكلّ ما يتطلّبه من جهد مضمّن واثقان ووقت. وارتبط التطريز بالخصوصيّة الجغرافية، فاختلقت القصّات والألوان والأشكال ووحدات التطريز تبعاً للمناطق المختلفة، في إشارة إلى الغنى والتنوّع التي تميّزت به تقاليد الأزياء والثياب الفلسطينيّة، وكانت التصميمات تختلف حتى بين القرى المتجاورة.

برسومه ووحداته التي توارثتها الأجيال، تطوّر التطريز ليصبح لغة تمتلك مصطلحات وقواعد جعلت من ثوب المرأة نصّاً يمكن قراءته وتأويل معانيه؛ فهو يعكس شخصيّة المرأة التي صنعته، كما يشير إلى ظروفها المادية ومنزلتها الاجتماعيّة. وكانت أقمشة الأثواب القطنيّة أو الكتانيّة تصبغ تقليدياً باللون النيليّ، وتنقع به مرّات عديدة كي تكتسب الطيف اللونيّ الأقوى، الأمر الذي ارتبط بأسعار الأقمشة، فبيعت الأثواب الأفتح لوناً بثمن أرخص، أما تلك الأكثر زرقة فنالت منزلة أعلى. وكانت أجزاء الثوب المطرّزة - مساحة الصدر (القبة)، جانبا الثوب (البنايق)، مساحة الظهر (الشنيار)، الأكمام - تُنفذ على حدة، وتطرّز على نحو منفصل، قبل أن تتصل مع بقيّة أجزاء الثوب بواسطة عُرز متينة.



المطرزات

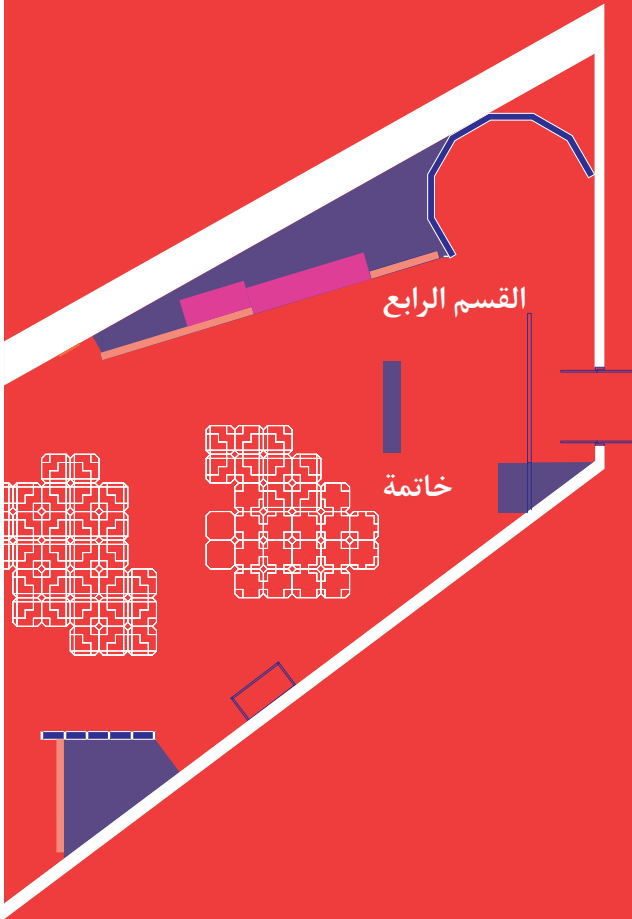
٢٠٠٨

من هنّ النساء اللواتي يصنعن المَطْرُزَات التي نبتاعها، وماذا يعني التطريز بالنسبة لهنّ؟ أردنا أن نعرف إذا ما زالت هذه الحرفة تحتفظ رمزيتها السياسيّة في أذهان من يمارسها، ولهذا الغرض أنتجَ فيلم "المَطْرُزَات" الذي يتتبع من خلال المقابلات قصص خمس مطرُزات في فلسطين ولبنان والأردن.

ينتهي المعرض بقطعة فائنة: ثوبٌ أنتجته رجاء الزير من سلفيت. طرُزَت رجاء هذا الثوب لارتدائه في حفل زفاف ابنها. وقياساً على أصول التطريز المتعارف عليها، لا يماشي هذا الثوب إلا قليلاً "التقاليد" الفلسطينيّة من ناحية قصّته ولونه وهيبته ورسومه ووحدات التطريز التي يحتويها، إلا أنّ قيمته المتمثلة بالعمل اليدويّ للسيدة رجاء ترتقي به إلى مصاف أثواب فلسطينيّة عمرها مئات السنين.

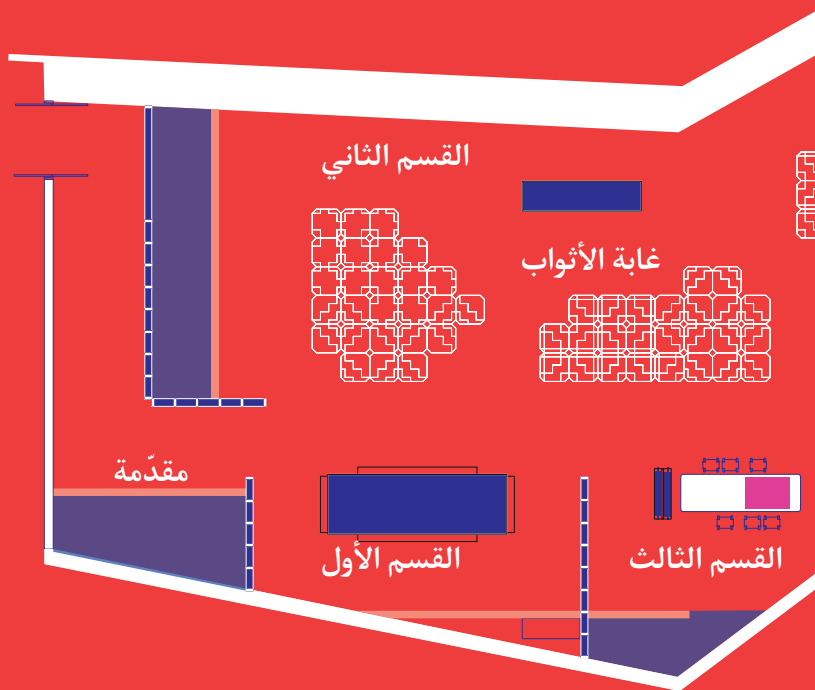
ويذكرنا عمل السيدة رجاء في هذا الثوب بأنّ التطريز ما زال حرفة نشطة، حيّة وناضجة. وكما سعت النساء في القرن التاسع عشر إلى الابتكار والتجديد عبر استلهام الأنماط الحديثة السائدة في أوساط مجتمعات نسائية أخرى، تستوحي النساء اليوم تصاميمهن من أعمال قريباتهن، فيتبادلن وحدات التطريز ورسومه عبر وسائط التواصل الاجتماعيّ. ويقدم ثوب كثوب السيدة رجاء دليلاً على احتفاظ التطريز الفلسطينيّ بموقعه ومكانته في المجتمع الفلسطيني، وعلى مضيّه قدماً في التطور على يد النساء اللواتي ينتجنه.

ثوب صنعته رجاء الزير،
2008، بإذن من رجاء
الزير، تصوير كيانيه
انترياسيان لصالح
المتحف الفلسطيني



القسم الرابع

خاتمة



بتقدّم المتحف الفلسطيني بجزيل الشكر لمقرضيه:

دار الطفل العربي للتراث الفلسطيني

متحف جامعة بيرزيت

طراز - بيت وداد قعوار للتوب العربي

بنك فلسطين

جورج الأعمى

مها أبو شوشة

ملك الحسيني عبد الرحيم

عائلة عصام بدر

إبراهيم وكريستا اللدعة

عبد الرحمن المرزبان

تمام الأكل

فيرا تماري

نائلة لبس

إنعاش المخيم الفلسطيني

إنعاش الأسرة

مشروع أرشيف المصق الفلسطيني

جاليري زاوية

فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية

مركز الفن الشعبي

مجموعة من الأفراد الذين أعارونا قطعاً من أرشيفاتهم الشخصية

ريتشل ديدمان قيّمة معارض وكاتبة أنتجت العديد من المعارض والمجموعات. تتضمن أعمالها الأخيرة Kindling، Halcyon، وUnravalled، وأطراف الخيوط: التطريز الفلسطيني في سباقه السياسي، أول معرض خارجي للمتحف الفلسطيني، أقيم في دار النمر في بيروت. أنهت ريتشل دراستها من جامعتي أوكسفورد وهارفرد، وهي مختصة في تاريخ الفن الإسلامي والفن المعاصر في الشرق الأوسط.

المتحف الفلسطيني مؤسسة ثقافية مستقلة، مكرسة لتعزيز ثقافة فلسطينية منفتحة وحيوية على المستويين المحلي والدولي، يقدم المتحف ويساهم في إنتاج روايات عن تاريخ فلسطين وثقافتها ومجتمعها بمنظور جديد، كما يوفر بيئة حاضنة للمشاريع الإبداعية والبرامج التعليمية والأبحاث المبتكرة، وهو أحد أهم المشاريع الثقافية المعاصرة في فلسطين، وأحد أهم مشاريع مؤسسة التعاون؛ المؤسسة الأهلية الفلسطينية غير الربحية، التي تهدف إلى توفير المساعدة التنموية والإنسانية للفلسطينيين في فلسطين والتجمعات الفلسطينية بלבnan.